النهضة الحسينيّة -نظرة تحليليّة في آثارها ونتائجها-

الدكتور محمدجواد اسكندرلو[1]؛
الدكتور حسن رضائي هفتادور[2]

خلاصة المقالة:

إنّ البحث في النهضة الحسينيّة؛ من خلال تحليل جذورها التاريخيّة، وأبعادها الدينيّة والإنسانيّة، وآثارها ونتائجها في القرون اللاحقة وحتّى عصرنا الراهن، واستشراف ذلك في المستقبل، يضع الباحث أمام عظمة هذه النهضة وموقعها المحوريّ في حركة التاريخ الإنسانيّ والدين، بحيث يتبيّن لكلّ جزء منها -في ضوء هذه النظرة التحليليّة- معناه ومغزاه، ويتّضح من خلالها الجواب عن كثير من الأسئلة المتعلّقة بالنهضة؛ فنهضة الإمام الحسين عليه السلام حركة تاريخيّة عظيمة ومدرسة لتربية الإنسان العظيم الصانع للتاريخ.

لقد كانت ثورة عاشوراء عاملًا لإحياء دين الله، وازدهار شجرة الإسلام ونموّها، وضعت الجهاز الأمويّ الحاكم أمام الأخطار الحقيقيّة، وكانت سببًا في الثورات والنهضات التي أدّت إلى سقوط خلافة آل أبي سفيان على المدى القصير، وانحلال خلافة بني أميّةوانهيارها على المدى الطويل، كما بعثت الصحوة عند الأمّة الإسلاميّة، ونفخت روح الشجاعة وطلب الشهادة عند المسلمين، وعلّمت الناس درس التضحية والإيثار.

(1) أستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، من إيران.
(2) أستاذ في جامعة طهران، من إيران.

كلمات مفتاحيّة:
الإمام الحسين عليه السلام، عاشوراء، النهضة، الثورة، التوّابون، المختار الثقفيّ، بنو أميّة، بنو العباس.

مقدّمة:

هَـدَف الإمـام الحسين عليه السلام في ثورته المباركة إلى إحياء القيم الإسلاميّة التي اندرست بفعل الممارسات السياسيّة والدينيّة الخاطئة لبعض المسلمين، والتصدّي لمحاولة الرجوع بالأمّة إلى عصر الجاهليّة، ومنع إهدار المساعي الجبّارة التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ فكانت الثورة الحسينيّة ثورة مفصليّة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة والإنسانيّة وحاضرها ومستقبلها؛ ترسم لها نهج الإصلاح والتغيير ورفع الظلم والاستبداد؛ إمّا عن طريق تشكيل حكومة العدالة الإلهيّة، وإما الشهادة على طريق مقارعة الاستبداد والاستكبار.

لقد وضعت الثورة الحسينيّة السلطة الحاكمة أمام أخطار حقيقيّة جسيمة، وصارت سببًا للثورات والنهضات التي أدّت إلى سقوط النهج الذي خالف نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إدارة شؤون المسلمين والدولة الإسلاميّة، وأسّست النهج المقاوم الذي يسري في نفوس المستضعفين ضدّ الظلم والاستبداد على امتداد حركة التاريخ والواقع والمستقبل الإنسانيّ؛ بما حملت من قيم ثوريّة فطريّة وعقلانيّة ودينيّة ينشدها كلّ إنسان حرّ في العالم؛ فكان الإمام الحسين عليه السلام نبراسًا للأحرار وأنموذجًا إلهيًّا لا مثيل له ولا نظير في التضحية والفداء على مذبح العشق الإلهيّ!

ولعلّ قوله -تعالى-: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1] ناظر إلى عظمة الإمام الحسين عليه السلام، وبركات ثورته وشهادته، وآثارها الطيّبة على الإنسانيّة؛ فقد

(1) سورة الصافات، الآية 107.

ورد في ما رواه ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «**لمّا أمر الله -عزّ وجلّ- إبراهيم عليه السلام أن يذبح -مكان ابنه إسماعيل- الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنّه لم يُؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم مَن أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا رب ما خلقتَ خلقًا هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد، فأوحى الله إليه: فهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل ولده، قال: فذَبْحُ ولده ظلمًا على أيدي أعدائه أوجعُ لقلبك أوذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحُه على أيدي أعدائه أوجعُ لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلمًا وعدوانًا كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم قد فديتُ جزعك على ابنك إسماعيل عليه السلام لو ذبحته بيدك، بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبتُ لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**»[1].

وعليه، فالإمام الحسين عليه السلام هو القربان الإلهيّ العظيم، الذي بشهادته أضاء درب الهداية، فصارت واقعة كربلاء -على مدى التاريخ- أنموذجًا وأسوة عظيمة، ودرسًا للجهاد لأحرار العالم، ولا سيّما المسلمين المجاهدين. لقد أسّس الإمام الحسين عليه السلام بدمه مدرسة لأحرار العالم جعل فيها قضيّة الموت والشهادة من دواعي الفخر والاعتزاز.

(1) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط1، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403هـ.ق/ 1362هـ.ش، ح79، ص58-59.

وللثورة الحسينيّة آثار ونتائج كبيرة وعميقة على الإسلام والمسلمين خصوصًا، والإنسان والمجتمع عمومًا؛ هي ما تروم المقالة الوقوف عندها بالتحليل.

أولًا: إحياء الإسلام والعقيدة الحقّة:

كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عاملًا لإحياء العقيدة الاسلاميّة والرسالة المحمديّة، ولرفعة الأمّة الإسلاميّة وصحوة المسلمين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ إبراهيم بن طلحة التقى الإمام السجّاد عليه السلام في المدينة، فقال له شامتًا: يا علي بن الحسين مَنْ غلب؟ فقال له الإمام السجّاد عليه السلام: إذا أردت أن تعلم مَنْ غلب، ودخَلَ وقت الصلاة؛ فأذِّن وأَقِم**»[1]. وبهذا الجواب أفهمه الإمام عليه السلام أنّ هدف يزيد كان إزالة الإسلام ومحو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنّ صدى «لا إله إلا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله» ما زال يتردّد على المآذن، وما زال المسلمون في كلّ مكان -وحتّى في الشام عاصمة حكم يزيد- يشهدون بوحدانيّة الله -تعالى- ورسالة النبي محمّد صلى الله عليه وآله.

لقد تحقّق قول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المعروف: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[2]؛ فالحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ابن ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام؛ وأمّا قوله صلى الله عليه وآله: «**وأنا من حسين**»؛ فمعناه أنّ الحسين عليه السلام هو الذي سيُحيي ديني ورسالتي؛ ولهذا فأنا منه. وهذا ما أعلنه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**وإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا؛ وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحقّ؛ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا؛ أصبر حتّى**

(1) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ.ق،ج45، ص177.
(2) م.ن، ج43، ص261؛ وانظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، بيروت، دارالمعرفة،ج3، ص177.

يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ؛ وهو خير الحاكمين»[1].

فثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن قد أحيت الرسالة المحمّدية فقط، وإنّما وقفت بوجه اندراس أهداف رسالة سائر الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان متمِّمًا ومكمّلًا لرسالة الأنبياء السابقين عليهم السلام؛ فهو خاتم الرسل، ودينه خاتم الأديان؛ فجميع مساعي الأنبياء السابقين عليهم السلام كانت مقدّمة لظهور النبي الخاتم، وإيداع لواء الهداية البشريّة بيده حتّى يوم القيامة.

ولا شكّ في أنّ هذا الدين الذي هو خاتم الأديان الإلهيّة قد تعرّض للتهديد والـزوال، وبالتالي حصل الخوف من ذهاب ثمرات مساعي الأنبياء عليهم السلام، ولاسيّما النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وفي ظلّ تلك الظروف جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ لإحياء دين الله، ومنح شجرة التوحيد والنبوّة الطراوة والتجديد.

ولعلّ هذا كان سببًا في مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام في «زيارة وارث» المعروفة بوارث الأنبياء جميعًا[2]؛ فهو وارثهم من النبي آدم عليه السلام إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله؛ وكأنّ ذلك تعبير عن أنّ الإمام الحسين عليه السلام يحمل جميع خصائص نهج التوحيد، وقد أخذه من جميع الأنبياء عليهم السلام؛ فصار وارثًا لهم.

ثانيًا: صناعة الأنموذج الأمثل للأحرار:

مع أنّ النصر المادّيّ الظاهريّ كان من نصيب الجبهة الأخرى في عاشوراء سنة 61 هـ، ولكنْ بالنظرة الدقيقة والعميقة يظهر لنا أنّ النصر الحقيقيّ كان للإمام الحسين عليه السلام وأنصاره؛ وذلك لأنّ الإمام عليه السلام رسم بشهادته المنهج الخالد للمسير في تلك النهضة والثورة على اختلاف الزمان

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج44، ص329-330.

(2) انظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد: كامل الزيارات، ط1، نشر صدوق، 1375هـ.ش، ص375.

والمكان، فأسّس للمسلمين ولجميع أحرار العالم منهجًا وطريقًا خالدًا لطلاب الحقّ والعدالة.

وفي هذا الصدد يقول الباحث الألمانيّ موسيوماربين: «لقد أوضح هذا الجندي العظيم [أي: الإمام الحسين عليه السلام] للناس أنّ الظلم والبغي زائل، ومهما بدا صرح الظلم عظيمًا وشامخًا، فإنّه زائل أمام الحقّ والحقيقة؛ كالهشيم فى الرياح»[1].

وطرح السيّد قطب في ذيل تفسير قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[2]؛ السؤال التالي: لقد وعَدَ الله -تعالى- في هذه الآية الأنبياء والمؤمنين النصر في الدنيا أيضًا، إلّا أنّنا نرى على مدى التاريخ بعض الأنبياء والمؤمنين قد خسروا في مواجهة أعدائهم، بل استشهد بعضهم، فما هي حقيقة هذا الوعد الإلهي بالنصر؟

وقد أجاب السيّد قطب عن هذا التساؤل بالآتي:

- لا ينبغي لنا أنْ ننظر إلى الانتصارات في محدوديّة الزمان والمكان الخاصّين، فهذا المقياس هو مقياس صغير بشريّ. وأمّا في مقياس أكبر لا يحدّه الزمان والمكان الخاصّين؛ فإنّ الأنبياء والمؤمنين لم يُهزموا قط؛ وذلك لأنّ عقائدهم ومقاصدهم بقيت عند الناس في النهاية. وفي الحقيقة، فإنّ نصرة الله لهم إنّما هي بالنسبة إلى بقاء عقائدهم وأفكارهم.
- إنّ النصرة لها صور مختلفة، ففي النظرة السطحيّة يُسمّى بعضها هزيمة وانكسارًا، ولكنّها في الحقيقة تتضمّن النصرة الإلهيّة. فهل تنازل إبراهيم عليه السلام عن عقيدته ودعوته عندما ألقي في النار؟ لقد كانت النصرة الإلهيّة تشمله حينما أُلقي في داخل النار. وفي الواقع، فإنّ عدوّه قد انكسر، حيث عجز عن ثنيه عن عقيدته وقصده مع جميع تلك التهديدات والأخطار.

(1) نژاد، عبد الكريم: درسی كه حسين به انسانها آموخت (الدرس الذي علّمه الحسين عليه السلام للناس)، ط2، دارالعتبة الرضويّة، 1383هـ.ش، ص 284.

(2) سورة غافر، الآية 51.

ثمّ أشار السيّد قطب بعد ذلك إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث ذكر أنّه استُشهد في الظاهر وانكسر بحسب مقياس النظر السطحيّ، ولكنّه انتصر في الواقع وفي مقياس أكبر؛ «والحسين -رضوان الله عليه- وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، المفجعة من جانب، أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأمّا في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصرًا؛ فما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء؛ كالحسين رضوان الله عليه. يستوي في هذا المتشيّعون وغير المتشيّعين من المسلمين، وكثير من غير المسلمين!»[1]. لقد أضحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته مع أصحابه أنموذجًا يُحتذى لأحرار العالم، ولكثير من القادة الأحرار في نهضتهم، حيث اتّخذوا منها منهجًا وطريقًا في تحرّكاتهم حتّى نالوا الانتصار.

يقول «مهاتما غاندي» -قائد استقلال الهند- في كلامه التاريخيّ: «أنا ما أتيتُ للشعب الهندي بجديد، وإنّما أهديتهم نتائج مطالعاتي وتحقيقاتي حول حياة أبطال كربلاء. فإذا أردنا نجاة الهند يجب علينا أنْ نطوي ذلك الطريق الذي سلكه الحسين بن علي»[2].

ويقول محمد علي جناح القائد الأعظم لباكستان: «لا يوجد في العالم نموذج في الشجاعة أفضل ممّا أبداه الإمام الحسين عليه السلام من التضحية والإقدام. وبرأيي، فإنّ على جميع المسلمين أن يتّبعوا ذلك النهج الذي ضحّى فيه هذا الشهيد في أرض العراق»[3].

كان هذا الاقتداء والتأسّي بنهضة الإمام الحسين عليه السلام واسعًا ومنتشرًا في العالم، وقد حقّق أنصار الإمام الحسين عليه السلام، وكلّ من اقتدى بجهادهم

(1) انظر: الشاذلي، إبراهيم (سيّد قطب): في ظلال القرآن، ط32، بيروت، دار الشروق، 1423هـ‍ـق/ 2003م، ج5،ص3086.

(2) مجلة الغري، النجف الأشرف، ربيع الأوّل 1381.

(3) القرشي، علي أكبر: مرد مافوق انسانها (رجل ما فوق البشر)، دار التبليغ الإسلاميّ، ص286.

وشهادتهم، النصر تلو النصر، حتّى عصرنا الحاضر، فقد استلهم هؤلاء من كربلاء دروس الحماسة لتعبئة الأفراد المضحّين من أجل الحقّ والعدل، فوصلوا إلى تحقيق أهدافهم عن هذا الطريق.

ثالثًا: الثورات الدمويّة بعد واقعة عاشوراء:

أثّرت واقعة كربلاء أثرًا عجيبًا فى أوساط المسلمين؛ فمن جانب، كانت شدّة مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وشدّة قسوة الأعداء في قتلهم وأسرهم أهل بيت العترة الطاهرة؛ سببًا في تنفّر المسلمين من الجهاز الحاكم؛ وذلكِ لأنّ خلافة يزيد -التي جرى قبولها تحت وطأة السيوف والتهديد والوعيد-، تضرّرت بسبب هذه الواقعة بشدّة. ولو كان الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل بالخفاء أو بالسُمّ؛ كما حصل لأخيه الإمام الحسن عليه السلام، أو أنّه أُبعد ونُفي، أو سُجن...؛ فلا ريب في أنّه لم يكنْ ليحصل في المجتمع الإسلامي جميع هذه الآثار الإيجابية المترتّبة على شهادته في كربلاء، وكذلك جميع تلكِ الآثار السلبيّة على حكّام الجور؛ فوقوع شهادة الإمام عليه السلام وأصحابه بشكل علني وأمام أنظار الآلاف وفي قلب العالم الإسلاميّ وفي ذروة المظلومية، لا يدع مجالًا للإنكار أو التبرير من قِبَل أولئك الذين قاموا بهذه الفاجعة في كربلاء.

ومن جانب آخر، فلقد كانت الشخصيّة المعنويّة للإمام الحسين عليه السلام وعظمة أسرته وشرافتها واضحة للعيان بين المسلمين، فلم يكنْ قتل مثل هذه الشخصيّة عملًا بسيطًا، ولو كان المقتولون مجموعة أخرى غير الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لم يكنْ لهذا القتل ذلك الأثر العظيم الذي أحدثته شهادة الإمام عليه السلام.

ومن ناحية ثالثة، فإنّ الحركة الثورية للإمام الحسين عليه السلام مع تلك الثلّة القليلة من الأصحاب؛ وبصيحات «هيهات منّا الذلة»، وعدم الاستسلام مقابل ذلك الجيش الجرّار...؛ ذلك كلّه منح المسلمين الجرأة والشجاعة،

وجعل قضيّة الموت والشهادة عند كثير من المسلمين أمرًا باعثًا على الفخر والاعتزاز. وما ثورة أهل المدينة، وثورة التوّابين، وثورة المختار الثقفيّ، وبعض النهضات الفرديّة؛ إلا صدى قريب لهذه الثورة المباركة.

1. ثورة التوّابين:

لقد كان أوّل ردّ فعل جماعيّ على واقعة كربلاء هو ما قام به أهل الكوفة؛ لأنّ في الكوفة أناساً كثيرين يحبّون آل البيت عليهم السلام، ولأنّ أهل الكوفة دعوا الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق برسائلهم، ولكنّهم لم ينصروه بعد ذلك، ولأنّ جمعًا منهم اشتركوا فى جيش الأعداء ضدّ الإمام عليه السلام وأنصاره!

ولذا، شعر أهل الكوفة-بعد واقعة عاشوراء- بأنّهم مذنبون ومقصّرون قبل غيرهم، وأخذتهم حالة الندم والخجل من عدم نصرتهم لابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذوا يفكّرون بالثورة والانتفاضة؛ لتدارك ذلك الخطأ الكبير وجبرانه؛ لعلّهم يمحون لطخة العار التى تلطّخوا بها، فحضر جمع منهم، عند وجهائهم في الكوفة؛ وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وائل التيمي، ورفاعة بن شدّاد البجلي، حيث اجتمعوا في بيت سليمان. وبدأ المسيّب بن نجبة الحديث، فقال:-بعد حمد الله والثناء عليه-: «أما بعد فإنّا ابتلينا بطول العمر والتعرّض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربّنا أنْ لا يجعلنا ممّن يقول له غدًا: ﴿أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾؛ فإنّ أمير المؤمنين عليًّا قال: «**العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة**»، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا، فوجَدَنا اللهُ كاذبين في كلّ موطن من مواطن ابن بنت نبيّه، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله، وأعذر إلينا، فسألنا نصره عودًا وبدءًا وعلانية، فبخلنا عنه بأنفسنا، حتّى قُتِلَ إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا

عند ربّنا وعند لقاء نبيّنا، وقد قُتِلَ فينا ولد حبيبه وذرّيّته ونسله! لا والله لا عذر دون أنْ تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تُقتَلوا فيطل بذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك، ولا أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن! أيّها القوم ولّوا عليكم رجلًا منكم، فإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفّون بها»[1]. ثمّ تحدّث بعده رفاعة بن شداد، ثمّ عبد الله بن سعد، وغيرهما[2].

أ. بداية عمليّات التوّابين:

بعد هذه التعبئة لأهل الكوفة، تحرّك سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره في أوّل ربيع الثاني سنة 65 هـ‍ـق نحو النخيلة (مكان تجمّع الجيش)، ولكنه وجد عدد الموالين الذين حضروا قليلًا، فبقي ثلاثة أيام في النخيلة، وأرسل إلى الموالين جماعة؛ منهم: حكيم بن منقذ الكندي، والوليد بن عصير، حيث دعوا الناس تحت شعار: «يا لثارات الحسين» الذي كان قد رُفع لأوّل مرّة بين الناس، ولم يلتحق بهم من الناس سوى ألف فقط، فتحرّك سليمان وأنصاره نحو كربلاء، ولمّا شاهدوا قبر الإمام الحسين عليه السلام، أخذوا بالبكاء والعويل، وما رُئي أكثر باكيًا من ذلك اليوم[3]. فتابوا من ذنبهم وعدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السلام، حيث تركوه وحيدًا، وبقوا يومًا وليلةً عند قبره عليه السلام باكين متضرّعين، ثمّ غادروا المكان، وتحرّكوا نحو الشام، ومرّوا بقرقيسيا، ووصلوا إلى «عين الوردة». وكان جيش الشام قد وصلها قبلهم بعديد يبلغ ثلاثين ألف مقاتل بقيادة عبيد الله بن زياد. وقد دام القتال بينهما ثلاثة أيام، وكان التوّابون يقاتلون ببسالة واندفاع وثبات، فقتلوا كثيرًا من أهل الشام.

(1) الجزري، علي (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، ط1، بيروت، دارصادر، 1385هـ‍ـق، ج4، ص159.
(2) انظر: م.ن، ص159-161.
(3) انظر: م.ن، ص175-178.

وكانت قيادة التوّابين بيد سليمان بن صرد الخزاعي، وبعد استشهاده صارت القيادة للمسيّب بن نجبة، ثمّ لعبد الله بن سعد بن نفيل، ثمّ رفاعة بن شدّاد.

وفي هذه المعركة قُتِلَ قادة الثورة كلّهم؛ باستثناء رفاعة بن شدّاد الذي رجع مع جمع من أنصاره إلى الكوفة، والتحقوا بأنصار المختار الثقفيّ، فشاركوا المختار في الانتقام من قاتلي الإمام الحسين عليه السلام[1].

ب. بحث وتحليل:

يبدو من دراسة مفردات ثورة التوّابين هذه أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام كان لها تأثير عظيم فى أوساط الثائرين، فلم يكونوا يفكّرون سوى فى إزالة العار الذي لحق بهم جرّاء عدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السلام، ولم يكونوا يطلبون محض الانتصار والفتح أو استلام الحكم والحصول على الغنائم، بل عندما خرجوا من ديارهم كانوا يعلمون أنّهم لنْ يعودوا إليها مرّة أخرى، وقد أوضح سليمان بن صرد الخزاعي لهم ذلك، وهم قد أجابوه قائلين: «إنا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجنا! إنّما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وفي الحقيقة، فقد كانوا بهذه الثورة يريدون تخليص أرواحهم من العذاب الذي يشعرون به، وتنظيف نفوسهم من ذنوبهم، ولهذا السبب، فإنّ المختار الثقفيّ في تلك الفترة، مع أنّه كان يحاول تجميع القوات للثورة على الحكم الظالم، ولكنّه لم يكنْ مستعدًّا للتعاون مع سليمان بن صرد الخزاعي، وكان يقول: «إنّما يريد سليمان أنْ يخرج، فيقتل نفسه ومن معه، وليس له بُصرة بالحرب!»[3].

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، 176-185؛ الأزدي، أبو مخنف: مقتل الحسين عليه السلام، قم المقدّسة، المطبعة العلميّة، 1398هـ.ق، ص248-310، الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، ط4، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، 1403هـ.ق، ج4، ص426-471.

(2) م.ن، ص176.

(3) انظر: م.ن، ص163.

2. ثورة المختار الثقفيّ:

بعد أن انتهت ثورة التوّابين بمقتل قادتها، انطفأت شعلة الثورة لمدّة، إلّا أنّها لم تطل كثيرًا حتّى قامت نهضة وحركة أخرى؛ بظهور «المختار»، وشملَ أرضَ العراق نارُ الغضب والانتقام التي أحرقت قتلة أهل البيت عليهم السلام.

لقد كان المختار الثقفيّ من الوجوه السياسيّة المتنفِّذة، حيث جمع حوله -بما يملك من دراية وذكاء- الأنصار الذين كانوا يحبّون الإمام الحسين عليه السلام، وذلك تحت شعار «الثأر لدم الحسين عليه السلام». وكان أبوه «أبو عبيدة بن مسعود الثقفي» من الشجعان، وقائدًا جديرًا، حيث قام بأعمال مهمّة في حياته، وقُتل في «يوم الجسر» في سنة 14هـ.ق، مع أحد أبنائه؛ وهو «جبر بن أبي عبيدة»، وذلك في الحرب بين المسلمين والجيش الفارسي في زمان الخليفة الثاني، بالقرب من «الحيرة» بجانب جسر دجلة[1].

يقول الأصبغ بن نباتة: «رأيت المختار وهو طفل يحمله أمير المؤمنين عليه السلام، ويضع يده على رأسه، وهو يقول: يا كيّس، يا كيّس»[2].

وبمراجعة التاريخ يتّضح لنا دقّة تعبير الإمام علي عليه السلام بشأنه، فقد استطاع المختار، في مدّة قصيرة وبأسلوب بارع، مخاطبة عقول الناس ومشاعرهم بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وأن يصنع منهم ثورة عظيمة.

وكان المختار قد استقبل مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة عندما وردها مسلم، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى بيت «هاني بن عروة». وعندما أخذ «عبيد الله بن زياد» بتفريق الناس من حول مسلم بالتهديد والوعيد، كان المختار في قرية «القفا»، فتحرك نحو الكوفة مع جمعٍ من أصحابه، إلّا أنّ جلاوزة عبيد الله بن زياد قبضوا عليه في وسط الطريق

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج2، ص628؛ المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، ط2، قم المقدّسة، دار الهجرة، 1404هـ.ق،ج2، ص315.

(2) انظر: المجلسي، بحارالأنوار، م.س، ج45، ص344؛ الكشّي، محمد بن عمر: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، قم المقدّسة، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1404هـ.ق، ص127.

وأودعوه السجن. وقد كان المختار في أيام واقعة كربلاء في السجن إلى جانب شريكه في القيد «ميثم التمار» الصاحب الوفي للإمام علي عليه السلام. ولم تمضِ فترة طويلة حتّى صدر حكم ابن زياد بإعدام المختار، وعندما أرادوا تنفيذ الحكم به وصل أمر يزيد بإطلاق سراحه، حيث كان عبد الله بن عمر -زوج أخته- قد استشفع له عند يزيد. فغادر المختار الكوفة بأمر ابن زياد بعد إطلاق سراحه، والتحق بعبد الله بن الزبير في مكّة، حيث كانت ترفرف عليها راية الاستقلال في الحكم[1].

ويرى بعض المحقِّقين -الذين يذكرون المختار بخير- أنّ التحاقه بابن الزبير كان أمرًا مؤقّتًا ولمصلحةٍ ما، حيث كان رأيه يتطابق مع بعض آرائه، ولا سيّما معارضة الأمويّين. وقد تصدّى المختار في حادثة حصار مكّة من قِبَل جيش الشام للدفاع عن أمن الحرم الإلهيّ، حيث كان ابن الزبير قد التجأ إليه. ولكنّ هذا الائتلاف لم يدم طويلًا فانصرف المختار عن ابن الزبير... وتوجّه نحو الكوفة[2].

ولم يكن المختار يهدأ له بالٌ حتّى يثأر من قاتلي الإمام الحسين عليه السلام. ولهذا، فقد التجأ ابتداءً إلى «محمد بن الحنفية»، ولازمه مدّة وتعلّم من أحاديثه وعلومه[3].

وقد دخل المختار إلى الكوفة متزامنًا مع ذروة ثورة التوّابين، وكان يقول لأهل الكوفة من خلال بياناته، إنّ حركة التوّابين تفتقد إلى التنظيم العسكريّ؛ ولهذا فهي حركة لن يُكتَب لها النجاح.

ومع أنّ إعلامه هذا أثّر في ثورة التوّابين نوعًا مّا، ولكنّه لم ينجح كثيرًا في جذب الناس نحوه، وأخيرًا أُودِعَ السجن مرّة أخرى بتحريك أشراف الكوفة؛ من قبل «عبد الله بن مطيع» الحاكم الزبيري على الكوفة. وكان

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص-442 444.
(2) انظر:م.ن، ص446 فما بعد.
(3) انظر: المجلسيّ، بحار الأنوار، م.س، ج45، ص352.

المختار في السجن عندما انتهت حركة التوّابين بالانكسار[1]. ثمّ أُطلق سراح المختار من السجن مرّة أخرى؛ بوساطة زوج أخته «عبد الله بن عمر»، حيث كانت الأرضيّة لثورته أكثر تمهيدًا. وفي هذه المرّة طلب أولًا الإذن من الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام؛ ليبدأ ثورته، ويدعو الناس باسمه، ولكنّ الإمام السجّاد عليه السلام لم يصرِّح بقبول تلك الدعوة، مع أنّه -طبقًا للروايات الواردة عنه عليه السلام- كان راضيًا عن عمله فيما يتعلّق بالانتقام من قَتَلة الإمام الحسين عليه السلام. ويرى بعض المحقّقين أنّ تعامل الإمام السجّاد عليه السلام مع المختار لا يعني رفض منهج المختار؛ وإنّما كان ذلك الموقف منه بسبب الظروف والموقع الخاصّ للإمام عليه السلام؛ حيث كان خاضعًا للرقابة الشديدة والضغط[2].

وبعد ذلك توجّه المختار نحو محمّد بن الحنفية، ثمّ بدأ دعوته باسمه[3].

ونقل الطبريّ في تاريخه أنّ محمد بن الحنفية قال في جواب المختار: «فوالله لوَددتُ أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه»[4]. وقد كان جواب ابن الحنفية هذا كافيًا لأنْ ينسب المختار ثورته إليه ويعتبر نفسه وكيلًا له.

وبهذا الأسلوب جمع المختار الناس حوله، حتّى إنّ بعض الكوفيّين سافر إلى الحجاز ليسمع قوله من ابن الحنفية مباشرةً ويطمئنّ إلى صحّته[5].

لقد مهّد المختار مقدّمات ثورته بالتشاور مع إبراهيم بن مالك الأشتر، فاتّفقوا على أنْ يكون تاريخ بداية الثورة ليلة الخميس 14 من ربيع الأوّل في سنة 66 للهجرة[6]. ولم تكنْ تحرّكات المختار خافية عن عيون جواسيس الحكومة الزبيريّة، حيث وصلت أخبار تحضيرات الثورة واستعداداتها إلى

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص470.
(2) انظر: المامقاني، عبد الله: تنقيح المقال، الطبعة الحجريّة، شرح حال المختار.
(3) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب، م.س، ج3، ص74.
(4) الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص492؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج4، ص214.
(5) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص492.
(6) انظر: م.ن، ص496.

الوالي الزبيريّ في الكوفة «عبد الله بن مطيع»، الذي نشر جنوده في جميع الطرق والأزقّة، وأعلن حالة الطوارئ، فكانت إجراءات والي الكوفة سببًا لتقدّم ثورة المختار عن الموعد المقرّر؛ وذلك لأنّ إبراهيم الأشتر توجّه ليلًا مع جمع من أنصاره وهم مسلّحون نحو منزل المختار في ليلة الثلاثاء 12 ربيع الأوّل سنة 66 للهجرة. وفي الطريق اعترضهم جنود السلطة، فما كان من إبراهيم إلّا أنْ أخذ الرمح من أحد الجنود وطعن رئيس شرطة الكوفة في ثغرة نحره، فصرعه، وعندما شاهد جلاوزة الحاكم هذا المشهد أصيبوا بالذعر والخوف وولّوا هاربين إلى الوالي، وبيّنوا له ما جرى. وقد أجبرت هذه الحادثة المختار على التصميم بابتداء الثورة في تلك الليلة؛ بشعار «يا لثارات الحسين»[1]، فكان هذا الشعار كافيًا لتفجير الغضب المكتوم في نفوس الموالين، ولغليان الدماء في عروق محبّي الإمام الحسين عليه السلام، وكان الهجوم ضدّ جنود السلطة كاسحًا، حتّى إنّهم تمكّنوا بعد ثلاثة أيام من السيطرة على المدينة، وهرب عبد الله بن مطيع والي الزبيريّين من الكوفة إلى البصرة. وبعد تحرير الكوفة وسيطرة المختار وأنصاره صعد المختار المنبر، وخاطب الناس قائلًا: «تبايعونني على كتاب الله وسنّة نبيّه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلّين، والدفع عن الضعفاء»[2].

ولكن كان هناك ثلاثة أعداء أشدّاء يهدّدون حكومة المختار الفتيّة؛ وهم:

- حكومة الشام بقيادة بني مروان من الشمال
- حكومة عبد الله بن الزبير من ناحية الجنوب (مكّة)
- العدوّ الداخليّ المعادي؛ من وجهاء الكوفة، وقتلة الإمام الحسين عليه السلام، من داخل العراق

ومن الطبيعي أنّ بنيّ أميّة لم يكونوا يحتملون وصولهم إلى السلطة في

(1) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص498؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: تاريخ اليعقوبي، ط1، بيروت، دار صادر، ج2، ص258.

(2) م.ن، ص508.

العراق، ولا سيّما الكوفة التي كانت تمثّل قلب العالم الاسلاميّ آنذاك! فأمر عبد الملك بن مروان -الذي وصل إلى السلطة حديثًا- عبيد الله بن زياد بأنْ يُسقط ثورة المختار ويتسلّم السلطة في الكوفة. وقد حشد ابن زياد جيشًا في أطراف "الموصل"، فأرسل المختار إليه إبراهيم الأشتر مع سبعة آلاف مقاتل إلى جبهة القتال.

فأحسّ وجهاء الكوفة وقتلة الإمام الحسين عليه السلام؛ ومنهم: "شبث بن ربعي"، و"شمر بن ذي الجوشن"، ... بالخطر الشديد من تسلّط المختار وجيشه في الكوفة، فاستغلوا غياب إبراهيم الأشتر، وهجموا على القوّة الباقية للمختار في الكوفة، وحاصروا "دار الإمارة"، فأرسل المختار أمرًا للأشتر بالرجوع إلى الكوفة فورًا، واستطاع إبراهيم الرجوع سريعًا إلى الكوفة والقضاء على مؤامرة وجهاء الكوفة.

وبعد القضاء على تلك المحاولة الفاشلة في الكوفة توجّه الأشتر ثانية لحرب ابن زياد والطلب بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، والتقى جيش الأشتر على بعد خمسة فراسخ من الموصل بجيش ابن زياد، فهزمهم، وغرق بعضهم حين الفرار في النهر. وقد هلك في تلك الواقعة -التي حدثت في يوم عاشوراء من سنة 67 للهجرة- كثير من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأعوانهم؛ كعبيد الله بن زياد، والحُصين بن نُمير. واستطاع إبراهيم الأشتر أنْ يقتل ابن زياد، ويحرق جسده، وأرسل رأسه إلى المختار في الكوفة[1].

لقد كانت نار الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره شديدة، حيث التهمت في فترة قصيرة جميع المجرمين في واقعة عاشوراء. وقد نال كلّ واحد منهم جزاءه؛ بما يتناسب مع جريمته وعمله المشين.

ولم تقتصر نار الانتقام على التهام قادة الأعداء فى واقعة عاشوراء؛ بل إنّ كلّ من مدّ يدًا، أو أطلق كلمة، أو أخذ متاعًا من جيش الإمام

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج34، ص383-386؛ الكوفي، أحمد بن أعثم: الفتوح، ط1، بيروت، دار الندوة الجديدة، ج6، ص183.

الحسين عليه السلام، أو اشترك بأيّ نحو كان في تلك الفاجعة؛ فإنّه نال جزاء عمله وإعانته على الجريمة[1].

وكان المختار جادًّا وصارمًا فى تنفيذ العقوبات الجزائيّة، ولم يكنْ هذا سوى تطبيق للعدالة؛ لأنّ جرائمهم كانت أعظم بكثير من العقوبات التي نالوها! وبفعل ذلك اجتمع عدد من وجهاء الكوفة المجرمين -الذين كان قد وخزهم طعن سيف المختار- في البصرة عند مصعب بن الزبير- أخي عبد الله بن الزبير- ومن بينهم: "شبث بن ربعي"، و"محمد بن الأشعث". وذلك من أجل تحريك مصعب نحو محاربة المختار والإلحاح عليه باستمرار للقيام بذلك[2]. وذكر الدينوري أنّ عدد الفارّين من الكوفة إلى البصرة ما يقارب عشرة آلاف[3].

وأخيرًا شكّل مصعب جيشًا من جنوده ومن الفارّين من الكوفة إلى البصرة، ثمّ تحرّك نحو المختار. فأرسل المختار جيشًا بقيادة "الأحمر بن شميط" لمحاربة جيش مصعب، وكان إبراهيم الأشتر آنذاك في شمال العراق (الموصل)، فلم يحضر مع هذا الجيش. ثمّ انكسر جيش المختار وقُتِلَ قائده مع كثير من أعوانه. وبعد ذلك توجّه مصعب نحو الكوفة، فقتل المختار وبقيّة جنوده في 16 رمضان سنة 67 للهجرة؛ وكان عمر المختار آنذاك 63 عامًا[4].

وبعد أنْ سيطر مصعب على الكوفة دعا إبراهيم الأشتر، فجاء إبراهيم إلى الكوفة من دون مقاومة واستقبله مصعب بحفاوة[5].

وبسقوط حكومة المختار في الكوفة صار العراق تحت سيطرة الزبيريّين، وبهذا خرجت الكوفة مرّة أخرى من حكم محبّي أهل‌البيت عليهم السلام.

(1) انظر: العقاد، عباس محمود: أبو الشهداء الحسين بن علي، ترجمة: محمد كاظم المعزي، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، 1341هـ.ش، ص205.

(2) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص558.

(3) انظر: الدينوري، أحمد بن داود: الأخبار الطوال، ط1، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، 1960م، ص304.

(4) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج4، ص577.

(5) انظر: الدينوري، الأخبار الطوال، م.س، ص309.

ولم يمرّ زمن طويل حتّى أرسل عبد الملك بن مروان في سنة 72 للهجرة جيشًا عظيمًا لمحاربة مصعب بن الزبير، فالتقى الجيشان، وانكسر جيش مصعب، وقُتِلَ مصعب (36 سنة)، وإبراهيم الأشتر (40 سنة)، وسقط العراق بيد المروانيّين!

ويبدو ممّا تقدّم أنّ أساس ثورة المختار هو قضيّة الثأر للإمام الحسين عليه السلام، والانتقام من جُناة واقعة عاشوراء، وقد نجح المختار في تحقيق هذا الهدف. فهو من خلال شعار "يا لثارات الحسين" جعل دماء المحبّين والموالين لآل البيت عليهم السلام وللحسين عليه السلام تغلي في عروقهم. ومن الواضح أنّه لم يكن آنذاك شعار مؤثّر بهذه الدرجة ومثير للمشاعر مثل هذا الشعار.

ومن ناحية أخرى، فمن خلال إيجاد العلاقة مع أولاد أميرالمؤمنين عليه السلام، ولاسيّما محمد بن الحنفية، وإرسال رؤوس جُناة واقعة عاشوراء إلى الإمام السجّاد عليه السلام، فقد ربط في الواقع القيادة المعنويّة والخفيّة لثورته بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

لقد كان المختار يعتبر نفسه ممثّلًا ووكيلًا لمحمد بن الحنفية، وينسب قيادة ثورته إليه، وعندما سيطر على الكوفة دعا الناس إلى بيعته بشرط الثأر للإمام الحسين عليه السلام وأهل‌بيته.

ومع أنّ حكومة المختار لم تدم طويلًا وانهارت على يد مصعب بن الزبير، إلا أنّ ذلك لا يمكن اعتباره هزيمة، فقد حقّق المختار هدفه السامي؛ وهو الانتقام من قتلة واقعة كربلاء وجناتها!

3. زوال حكم بني أميّة:

إنّ مطالعة تاريخ حكومة بني أميّة يشير بوضوح إلى أنّ ذلك الحكم الذي استمرّ ثمانين سنة كان على الدوام -سوى في بعض السنوات- مليئًا بالمخاطر، والاضطرابات، والقتال، والصعوبات، والتغييرات السريعة والمفاجئة.

وقد حكم في تلك المدّة -التي تساوي عمر إنسان طبيعي تقريبًا- أربعة عشر من آل أبي سفيان وآل مروان، لفترات مختلفة من بضعة شهور إلى سنوات عدّة. وأطول حكم لهم كان على يد عبد الملك بن مروان، حيث استمرّ حكمه عشرين عامًا، ولعلّ سبب ذلك أنّه لم يستمع لكلام "الحجاج بن يوسف الثقفيّ"، ورفع يده عن إراقة دماء بني هاشم[1].

وفي الحقيقة، فإنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأولاد النبي صلى الله عليه وآله كان يمثّل إحباطًا لإعلام بنيأميّة المسموم لمدّة ثمانين سنة، حيث حكموا بالخداع والمكر باسم الدولة الإسلاميّة!

لقد أعطت ملحمة النهضة الحسينيّة للناس الصورة الحقيقيّة للإسلام، ورفعت النقاب عن الوجه الأمويّ الكاذب، وأثبتت عدم مشروعيّة حكمهم.

وتشير دراسة تاريخ هذه الثورات إلى أنّ عامّة الناس آنذاك لم تجعل لأيّ شعار ذلك الأثر العظيم؛ مثلما كان لطلب الثأر للإمام الحسين عليه السلام، والانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام. بل إنّ العبّاسيّين الذين أطاحوا بالأمويّين؛ إنّما استطاعوا ذلك في ظلّ رفعهم لهذا الشعار، فوصلوا إلى أهدافهم.

ويشهد التاريخ على أنّ أوّل شرارة لثورة العبّاسيّين كانت قد انقدحت في سنة 132 للهجرة من قِبَل جماعة من العلويّين؛ بقيادة أبي مسلم الخراساني في خراسان. فقد انتفض هؤلاء ودخلوا ميدان المواجهة والصراع؛ بشعار: "الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله"، ولكنّ بني العباس استغلّوا جهل الناس وغفلتهم في معرفة المصاديق الحقيقيّة لأهل البيت عليهم السلام، فصادروا مشاعر الناس وعواطفهم لمصلحتهم، مستفيدين من شعار طلب الثأر للإمام الحسين عليه السلام، وبيان مظلوميّته! فقد أشعلوا -من خلال هذا الشعار- نار الغضب ضدّ بني أميّة، واستطاعوا بذلك إزالة حكمهم!

(1) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم: پيام امام امير المؤمنين عليه السلام (نداء أمير المؤمنين عليه السلام)،ط1، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ج6، ص418.

وينقل ابن أبي الحديد المعتزليّ أنّ أبا العبّاس السفاح -وهو أوّل خليفة عبّاسي- سجد عندما وُضِعَ رأس مروان بين يديه سجدة طويلة، ثمّ رفع رأسه، فقال مخاطبًا رأس مروان: «شكرًا لله الذي انتقم منك ومن قبيلتك، ونصرنا عليكم... والآن فلست أخشى الموت؛ لأنّني انتقمت لدم الحسين عليه السلام، فقتلت من بني أميّة ألفين»[1].

خاتمة:

نستخلص من دراسة تاريخ ملحمة عاشوراء أنّ الثورة الحسينيّة خرجت عن كونها حادثة تاريخيّة، فصارت مدرسةً لبناء الإنسان، ومنهجًا يدعو إلى الفخر والاعتزاز. ولا يقتصر هذا على المسلمين فقط، بل تعدّت قيم هذه الثورة الحدود إلى ما وراء ذلك، حيث أثنى كثير من مفكّري العالم عليها، وعدّوها أنموذجًا يُحتذى لخلاص الأمم والشعوب المظلومة والمستضعفة، ومدرسة لمقاومة الظلم والاستبداد وللحياة العزيزة الشريفة الحرّة.

لقد علّم مؤسّس هذه المدرسة، وكذلك أنصاره، الناس طُرق الوصول إلى هذا الهدف عمليًّا؛ بثباتهم وشجاعتهم، وكذلك بكلماتهم وإرشاداتهم، وبيّنوا أنّ الثلّة القليلة الشجاعة المندفعة بالدافع الإلهيّ؛ يمكنها الثبات أمام كثرة العدوّ، والانتصار عليه، وتحقيق الأهداف السامية!

(1) العلويّ، محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي): نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح: ابن أبي‌الحديد المعتزلي، ط1، قم المقدّسة، دار الكتب العلميّة، 1378هـ‍ـق، ج7، ص130؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج3، ص257.